# بر الوالدين في القرآن الكريم

## دراسة موضوعية

**د. حامد بن يعقوب الفريح**

د. حامد بن يعقوب الفريح

- عضو هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة الدمام .
- حصل على درجة الماجستير من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بأطروحته (تحقيق المروي عن ابن عباس من أول سورة المجادلة إلى آخر سورة الناس )..
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بأطروحته (الأماني في تفسير الكلام الرباني للإمام الكوراني من أول الفاتحة إلى آخر آل عمران – دراسة وتحقيق ).

## المقدمة

الحمد الله الذي أنزل القرآن وجعله نبعاً صافياً لا يغور ماؤه، ولا ينضب معينه، والصلاة والسلام على خير من تلقّى القرآن وحفظه وتلاه، وفهمه وعمل بمقتضاه، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد:

فقد اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالإحسان إلى الوالدين، وجعل طاعتهما والبِرَّ بهما من أفضل الطاعات وأجلّ القربات، ويكفي في ذلك أنّ الله قرن الإحسان إليهما بالأمر بعبادته وتوحيده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾الإسراء: ٢٣، ونهى عن عقوقهما وشدّد في ذلك غاية التشديد، وحسبنا في ذلك أنّ القرآن عطف الأمر بالإحسان للوالدين على النهي عن الشرك بالله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ الأنعام: ١٥١ .

ولمّا كان لبِرِّ الوالدين هذه المكانة العالية والمنزلة الرفيعة في دين الإسلام، ونظراً لما يُلحظ من تفريط أو تقصير وخاصة في زماننا هذا في أمر هذه العبادة العظيمة، ولما نرى من ازدياد صور العقوق، وحيث إنّ القرآن الكريم وهو كتاب الهداية، ودستور هذه الأمّة، ومصدر عزّها ورفعتها، قد أولى هذا الموضوع اهتماماً كبيراً، لذا أحببت أن أعيش في رحابه، استلهم هديه، واستضيء بنوره، وارتوي من معينه الصافي، واستخرج درره

النفيسة، وكنوزه الثمينة، لكي أقطف من جنانه أزهاراً ورياحين، يفوح شذاها، وينتشر عطرها؛ لكي أرسم صوراً جميلة معبرة عن الإحسان إلى الوالدين، فكان هذا البحث الذي هو بعنوان بر الوالدين في القرآن الكريم(دراسة موضوعية) والذي أهدف من خلاله إلى ما يلي:

أولاً: بيان منزلة بِرِّ الوالدين في دين الإسلام من خلال اعتناء القرآن والسنة بهذا الخلق العظيم.

ثانياً: التحذير من خطورة عقوق الوالدين، والعقوبات المترتبة على ذلك في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: إبراز صور البِرِّ والإحسان للوالدين والتي ذكرها القرآن الكريم، من أجل تطبيقها والعمل بها.

رابعاً: عرض الأساليب القرآنية التي تناول فيها القرآن الكريم الحديث عن بر الوالدين، والتي تدلّ على اهتمام القرآن بهذا الخلق الجليل.

وموضوع بر الوالدين من حيث الكتابة فيه موضوع كتب فيه قديماً وحديثاً، ويمكن أن نقسم التصنيف فيه إلى قسمين: دراسات عامة تتعلق ببر الوالدين وهي كثيرة جداً، ومن أمثلتها:

١- بر الوالدين ما يجب على الوالد لولده وما يجب على الولد لوالده، لأبي بكر الطرطوشي.
٢- بر الوالدين، لأبي الفرج ابن الجوزي.
٣- مختصر بر الوالدين، عبد الرؤوف الحناوي.
٤- من وصايا القرآن الكريم: البر بالوالدين في الحياة وبعد الممات، أحمد

عبد الغني النحولي.

٥- بر الوالدين في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، نظام سكجها.

والقسم الثاني: دراسات قرآنية، وهذا لم أطلع فيه-في حدود بحثي القاصر- إلاّ على دراستين:

١- بر الوالدين في القرآن الكريم(تفسير موضوعي)، للدكتور منظور محمد رمضان، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية(١٤٢٧هـ) وهو بحث ماتع، إلاّ أنّه أفرد الموضوعين الأخيرين وهما: التحذير من عقوق الوالدين، وصور من بر وإحسان السلف، بفصلين مستقلين، إلاّ أنّهما يمكن أن يضمنا في الفصول السابقة، لأنّ الموضوع الأول يشتمل عن أحاديث في الترهيب من العقوق، والثاني يتناول أمثلة ونماذج من بر السلف، فلا حاجة لإفرادهما بمباحث مستقلة.

٢- من معالم الهدي القرآني في بر الوالدين، للدكتور سليمان البيرة، وهو كتاب مطبوع [1]، ذكر فيه المؤلف بعد مقدمة طويلة عن أهمية البر ومكانته وآثاره، ذكر خمسة معالم قرآنية رائعة من الهدي القرآني في بر الوالدين.

هذا وقد سرت في بحث الموضوع وفق المنهج التالي:

أولاً: جمعت الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن بر الوالدين أو

---

(١) وأصل الكتاب كما ذكر المؤلف في المقدمة محاضرات ألقيت على طلبة الدراسات العليا بقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، في مادة التفسير الموضوعي.

أشارت إليه، وقد تجاوز عددها العشرين آية[١]

ثانياً: قمت بدراسة تفسير هذه الآيات من خلال الرجوع إلى كتب التفسير، وحاولت أن استنبط الأساليب التي وردت في هذه الآيات في الدعوة إلى بر الوالدين، فأذكر الأسلوب ثمّ أورد الآية أو الآيات التي تدلّ عليها، وأبيّن وجه الدلالة في الآية مستعيناً بأقوال أهل التفسير.

ثالثاً: قمت باستخلاص صور بر الوالدين من الآيات القرآنية، واجتهدت أن أضع عنواناً للصورة من لفظ القرآن مثل: الإحسان إليهما، وشكرهما، أو أختار عنواناً يدلّ على المعنى مثل: التواضع ولين الجانب، ثمّ أبيّن المراد بهذه الصورة، واذكر الآيات التي تدلّ عليها، وأوضح ما يحتاج من الألفاظ إلى إيضاح، واستشهد بالأحاديث النبوية في نفس الباب إن وجدت، أو أقوال الصحابة والتابعين في التدليل على المعنى المراد.

رابعاً: جعلت التعليقات والمسائل البلاغية والنحوية واللطائف في الهامش؛ حتى لا أخرج عن الموضوع القرآني.

خامساً: أكتفي في العزو إلى المرجع بذكر اسم الكتاب، ورقم الجزء والصفحة، واذكر اسم المؤلف إن كان الكتاب غير مشتهر، وباقي المعلومات عن الكتاب اذكرها في نهاية البحث.

سادساً: بالنسبة للأحاديث؛ إن كانت في الصحيحين اكتفيت بالعزو إليهما، وإن كانت في غيرهما ذكرت من صححه من أهل العلم.

(١) سيأتي ذكر هذه الآيات والحديث عمّا فيها من المعاني التي تتعلق ببر الوالدين في ثنايا الدراسة.

وسوف أجعل البحث ينتظم بإذن الله في تمهيد ومحورين وخاتمة:

**التمهيد:** ويتضمن الحديث عن معنى بر الوالدين من حيث اللغة والاصطلاح، ومعاني البِرّ في القرآن.

**المحور الأول:** ويشتمل على ذكر جملة من الأساليب التي وردت في القرآن في الدعوة إلى بِرِّ الوالدين والإحسان إليهما، وهي إجمالاً أربعة أساليب، وتفصيلاً عشرة أساليب.

**المحور الثانيّ:** ويشتمل على عشر صور من البِرّ والإحسان للوالدين ذكرها القرآن الكريم.

**الخاتمة:** وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث،

هذا وأسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا البحث كلّ من قرأه أو سمعه، وأن يكتب ذلك في موازين أعمالنا، وأن يجعلنا والمسلمين أجمعين من البارّين بوالديهم، المحسنين إليهم، الملتمسين برضاهم رضا الله، إنّه هو خير مسؤول، وأكرم مأمول، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## التمهيد

**البِرُّ لغة:**

البِرُّ مصدر مأخوذ من مادّة "ب ر ر" التي يقول عنها ابن فارس: الباء والراء في المضاعف أربعة أصول[1]: الصدق، وحكاية صوت، وخلاف البحر، ونبت، فأمّا الصدق فقولهم: صدق فلان وبرَّ، وبرَّت يمينه صدقت، وأبرَّها أمضاها على الصدق، وتقول: برَّ الله حجّك وأبرَّه، وحجَّة مبرورة، أي قُبلت قبول العمل الصادق، ومن ذلك قولهم يبرَّ ربّه أي يطيعه، وهو من الصدق، ومن هذا الباب قولهم : هو يبَرّ ذا قرابته، وأصله الصدق في المحبة، يقال (في الوصف منه): رجل بَرٌّ وبارٌّ[2]، ويرجع برُّ الوالدين إلى المعنى الأول وهو الصدق، وجمع البَرِّ أبرار وجمع البارِّ بَرَرَة[3]وجاء في الصحاح: البِرُّ خلاف العقوق، وبَرِرْت والدي(بفتح الراء الأولى وكسرها) أَبَرُّه بِرَّاً فأنا بَرٌّ به وبارٌّ به، والمضارع منه على وزن يفْعَل عند من يكسر الراء، وعلى وزن يفْعِلُ عند من يفتحها، تقول: قد بَرَّ والده يبَرُّه ويبِرُّه بِرَّاً، فيبَرُّ على بَرِرْت ويبِرُّ على برَرِت[4].

والبِرُّ إذا أضيف إلى الوالدين أو إلى ذي القرابة كان معناه ضد العقوق، يقول صاحب اللسان: وهو-أي البِرُّ- في حقهما وحق الأقربين

---

(١) المقصود أنّ لها أربعة معانٍ أصلية.

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس(١:١٧٧).

(٣) انظر: الصحاح للجوهري (٢:٥٨٨)،والقاموس المحيط (١:٦٩٥).

(٤) انظر: الصحاح (٢:٥٨٨)، وانظر أيضا: اللسان(٤:٥٣).

من الأهل ضد العقوق[١].

ومن معاني البِرِّ أيضا: الطاعة، والخير، والصلاح، والصلة، والإكرام، واللطف، وحسن الخلق، والاتساع في الإحسان[٢].

وفي التنزيل ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ الطور: ٢٨، وقد فسّر ابن عباس البرّ باللطيف[٣].

**والوالدان:** تثنية والد من الولادة لاستبقاء ما يتوقع زواله بظهور صورة منه بخلق صورة نوعه، والمراد بهما الأب والأم، وكلّ منهما يطلق عليه والد، وقيل: الوالد للأب وحده، وثنيّا تغليباً للمذكّر[٤].

**البِرُّ بالوالدين اصطلاحاً:**

في ضوء المعاني السابقة للفظة"البِرّ" يمكن أن نعرّف بِرّ الوالدين اصطلاحاً بأنّه: الإحسان إلى الوالدين، والتعطّف عليهما، والرفق بهما، والرعاية لأحوالهما، وعدم الإساءة إليهما، وإكرام صديقهما بعد موتهما[٥].

ويمكن بعبارة أخرى أن نقول أنّ برّ الوالدين هو: الصدق في إيصال كلّ ما فيه خير لهما، ودفع كلّ ما فيه ضرر عليهما، سواءً كان ذلك في حياتهما

(١) انظر: اللسان (٥٤:٤) وقد عرف ابن منظور العقوق هنا بأنه (الإساءة إليهم والتضييع لحقهم).

(٢) انظر: اللسان (٥١:٤)، القاموس المحيط (٦٩٥:١)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير(١١٦:١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره(٣٠:٢٧) من طريق علي بن أبي طلحة، وهي طريق صحيحة.

(٤) انظر: فيض القدير للمناوي(١٦٥:١).

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم، لمجموعة من المؤلفين(٧٦٧:٣).

أو بعد موتهما.

فقولنا: الصدق، يخرج به ما إذا كان الإحسان لهما من أجل منفعة دنيوية، فهذا لا يسمى بِراً، وإن كان إحساناً.

وقولنا: إيصال كلّ ما فيه خير لهما، يدخل فيه كلّ أنواع الخير ولو كان يسيراً، كالتبسّم في وجهيهما.

وقولنا: ودفع كلّ ما فيه ضرر عليهما، يدخل فيه كلّ صور العقوق ولو كان بالإشارة، فليس ذلك من البر.

وقولنا: في حياتهما أو بعد موتهما، شامل لبرهما بعد موتهما من الدعاء لهما وإكرام صديقهما.

هذا وقد وردت لفظة البرِّ – بالكسر – في القرآن الكريم في آيات عديدة، ومن خلال دراسة هذه الآيات، يمكن أن نقول أنّ البر يطلق ويراد به أحد معنيين:

الأول: فعل جميع ما أمر الله به من الطاعات الظاهرة والباطنة، كما في قوله تعالى﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ البقرة: ١٧٧، وقوله﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ البقرة: ٤٤، وقوله﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾البقرة: ١٨٩، فالبر إذا أطلق كان مسماه مسمى التقوى[١]، وقد يجمع بينهما كما في قوله تعالى﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾المائدة: ٢، فيكون المراد بالبر معاملة الخلق بالإحسان، وبالتقوى معاملة الحق بفعل طاعته واجتناب محرماته، أو

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية(٧:١٦٥)، جامع العلوم والحكم(ص٢٣٨).

البر فعل الواجبات، والتقوى اجتناب المحرمات[١]، وقد يكون مسمّى البرّ إذا أطلق هو مسمّى الإيمان، فقد روي أنّ أبا ذر سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فتلا عليه قوله تعالى ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾[٢].

وقد يفسّر البر بالجنة، وهو قول كثير من أهل التأويل كما قال الطبري[٣]، وهذا باعتبار المآل؛ لأنّ بر الرب بعبده في الآخرة وإكرامه إيّاه بإدخاله الجنة[٤]، وهو تفسير بالمعنى كما قال ابن عطية[٥].

الثاني: معاملة الخلق بالإحسان إليهم وإيصال الخير لهم، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ الممتحنة: ٨، وقوله تعالى ﴿ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾البقرة: ٢٢٤ ، ومنه الإحسان إلى الوالدين كما قال الله في وصف يحيى -عليه السلام- ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ مريم: ١٤.

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم(ص٢٣٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره(١:٢٨٧) وهو منقطع فإنّ مجاهداً لم يدرك أبا ذر كما قال ابن كثير في تفسيره(١:٢٩٦)، لكن يشهد له ما روي عن أبي ذر والحسن بن علي وعطاء أنّهم فسروا البر بالإيمان.انظر: فتاوى ابن تيمية(٧:١٨٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري(٣:٣٤٧) ونسبه لعمرو بن ميمون والسدي، وانظر: زاد المسير(١:٤٢٠) وزاد نسبته لابن عباس ومجاهد، وانظر: تفسير القرطبي(٤:٨٦) وزاد نسبته لابن مسعود وعطاء..

(٤) انظر: تفسير الطبري(٣:٣٤٧).

(٥) انظر: المحرر الوجيز(٣:١٥٧)..

## المحور الأول

## أساليب القرآن في الدعوة إلى برّ الوالدين

لقد تنوّعت أساليب القرآن في الدعوة إلى بر الوالدين وتعددت، وهذا التنوّع يدلّ دلالة واضحة على أهمية هذا الواجب، والمكانة العظيمة التي يحظى بها في دين الإسلام، ومن خلال جمع الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن بر الوالدين والنظر فيها نلاحظ التنوّع في أساليب عرض الموضوع، تارة في الأمر به، وأخرى في النهي عن ضدّه، وثالثة في الحثّ عليه، ورابعة في مدح فاعله، وخامسة في جعله من صفات الأنبياء، وهكذا، وإليك بالتفصيل هذه الأساليب التي جاءت في القرآن:

**الأسلوب الأول: أسلوب التعظيم:**

إنّ من الأساليب التي استخدمها القرآن في الدعوة إلى بر الوالدين أسلوب التعظيم، أي تعظيم شأن بر الوالدين والرفع من قدره، وهذا التعظيم يتضح من خلال الوجوه التالية:

**أولاً: اقتران الإحسان للوالدين بعبادة الله وتوحيده:**

لا ريب أنّ عبادة الله وتوحيده من أعظم الأعمال، بل إنّ الله – عز وجلّ – لم يخلق الجنّ والإنس إلاّ من أجل عبادته وحده، قال تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦، ولم يرسل الرسل وينزل الكتب إلاّ لتوحيده سبحانه وإفراده بالعبادة قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥، فحينما تأتي الدعوة إلى بِرّ الوالدين مقرونة بأعظم الأعمال وأجلّها وهو

عبادة الله وتوحيده، فهذا إنّما يدلّ على عظم برّ الوالدين عند الله، ومكانته في دين الله، ويؤكد وجوب الإحسان إليهما.

وقد جاء الأمر ببِرّ الوالدين مقروناً بالأمر بعبادة الله وتوحيده في أربعة مواضع في القرآن، وهي:

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ [١] إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ البقرة: ٨٣، وهذه الآية في سياق مجادلة بني إسرائيل وتوقيفهم على مساويهم، وإثبات سوء صنيع الموجودين منهم زمن القرآن[٢]، وفيه زيادة تأكيد على الإحسان للوالدين؛ لأنّه ممّا أخذ على بني إسرائيل الميثاق به، فتارك ذلك ناقض للميثاق وفيه شبه بهؤلاء القوم.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ النساء: ٣٦، وهنا اقترن الإحسان للوالدين بالأمر بالعبادة والنهي عن الشرك وهذا أبلغ؛ لأنّ مجموع الجملتين في قوة صيغة الحصر؛ إذ مفاده: اعبدوا الله ولا تعبدوا غيره فاشتمل على معنى إثبات ونفي[٣].

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ الأنعام: ١٥١، وهنا لمّا عطف الأمر بالإحسان

---

(١) هذا خبر في معنى الأمر، ومجيء الخبر للأمر أبلغ من صيغة الأمر؛ لأنّ الخبر مستعمل في غير معناه لعلاقة مشابهة الأمر الموثوق بامتثاله بالشيء الحاصل حتى إنّه يخبر عنه(التحرير والتنوير١:٥٨٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير(١:٥٨٢).

(٣) انظر: المرجع السابق(٥:٤٨).

للوالدين على النهي عن الشرك، وتقدمهما فعل التحريم واشتركا في الدخول تحت حكمه، علم أنّ التحريم راجع إلى ضدّه وهو الإساءة إلى الوالدين[1]، وقد جمع الرسول-صلى الله عليه وسلم- بين الإشراك بالله وعقوق الوالدين، فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين ...الحديث[2].

٤-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ الإسراء: ٢٣،ومناسبة اقتران برّ الوالدين بإفراد الله بالعبادة من حيث أنّه تعالى هو الموجد حقيقة، والوالدان وساطة في إنشائه، وهو تعالى المنعم بإيجاده ورزقه، وهما ساعيان في مصالحه[3].

**ثانياً: جعل شكرهما مقروناً بشكر الله:**

منزلة الشكر من أعلى منازل العبادة، وهو نصف الإيمان، وقد أمر الله به، ونهى عن ضدّه، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره[4]، وقد قرن الله شكر الوالدين بشكر الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ لقمان: ١٤، وهذا الاقتران يدلّ على

---

(١) انظر: البحر المحيط(٣٥:٧)

وإنّما عدل عن النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان اعتناءً بالوالدين؛ لأنّ الله أراد برّهما، والبر إحسان، والأمر به يتضمن النهي عن الإساءة إليهما بطريق فحوى الخطاب. انظر: التحرير والتنوير(١٥٨:٨).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح(٩٣:٧).

(٣) انظر: الكشاف(٤٨:٢) بتصرف، وانظر أيضاً: التحرير والتنوير(٦٨:١٥).

(٤) انظر: تهذيب مدارج السالكين، لعبدالمنعم صالح العزي(٦٠٩:٢).

أهمية برّ الوالدين، وأن قبول شكر الله مرتبط بشكر الوالدين، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا يقبل الله واحدة إلاّ بقرينتها ....، قال: وأمّا الثالثة، فقوله تعالى ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ ﴾ لقمان: ١٤، فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه[١]، فكما أنّ الإنسان مأمور بشكر الله على نعمه، فهو أيضاً مطالب بشكر الوالدين على تربيتهما له، وعلاجهما فيه ما عالجا من المشقة حتى استحكمت قواه، فالله سائله عمّا كان من شكره لنعمه عليه، وعمّا كان من شكره لوالديه[٢].

**ثالثاً: وصف بعض الأنبياء بصفة البر:**

الأنبياء أفضل الخلق، وقد أُمر النبيّ محمد_صلى الله عليه وسلّم- بالاقتداء بهم

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾الأنعام: ٩٠، وأُمرنا نحن بالتأسّي برسولنا

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾ الأحزاب: ٢١، لذلك علينا أن نقتدي بكلّ خلق اتّصف به الأنبياء، وقد جاء في القرآن وصف اثنين من الأنبياء بأنّهما كانا بارّين، قال الله في وصف يحيى - عليه السلام - ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ ﴾ مريم: ١٤، وقال الله على لسان عيسى -عليه السلام- ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي ﴾ مريم: ٣٢، والبَرُّ -بفتح الباء- وصف على وزن المصدر،

---

(١) انظر: تنبيه الغافلين، لأبي الليث السمرقندي(ص٣٩٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري(٢١:٧٠).

فالوصف به مبالغة، أي: كثير البِرّ والإكرام والتبجيل لوالديه[1]، ولا شك أنّ في كون هذه الصفة من صفات الأنبياء فإنّ ذلك أدعى للنفس أن تهفو للاقتداء بها والتخلّق بأخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

**الأسلوب الثاني: أسلوب الأمر والنهي:**

من الأساليب التي استخدمها القرآن في الدعوة إلى برّ الوالدين أسلوب الأمر والنهي، والأمر يدلّ على الوجوب كما عند الأصوليين[2]، وقد جاء الأمر ببِرّ الوالدين في القرآن بألفاظ متعددة منها:

-لفظ "وصّى" في ثلاثة مواضع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ العنكبوت: ٨،

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ لقمان: ١٤، وقَالَ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ﴾ الأحقاف: ١٥، والتوصية العهد المؤكد في الأمر الهام، وفيها التحريض على المأمور به، وهي أبلغ من مطلق الأمر، والتشديد يدلّ على المبالغة والتكثير[3].

-لفظ "قضى" قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ الإسراء: ٢٣، وقضى هنا بمعنى أمر وألزم وأوجب عليكم[4]، أي: وقضى

(١) انظر: البحر المحيط(٧:٢٤٦)، والتحرير والتنوير(١٦:٧٧).

(٢) انظر: نشر البنود على مراقي السعود، لسيدي عبدالله الشنقيطي(١:١٢١).

(٣) انظر: البحرالمحيط(١:٦٣٣)، والتحرير والتنوير(١:٧٢٧)(٢٠:٢١٤)، وتفسير القرآن العظيم(سورة البقرة) للشيخ محمد العثيمين(٢:٧٤).

(٤) انظر: المحرر الوجيز(١٠:٢٧٧)، وتفسير القرطبي(١٠:١٥٥).

إحساناً بالوالدين، كما يقتضيه العطف[١].

ولم يقتصر القرآن في الدعوة إلى برّ الوالدين على الأمر به فحسب، بل نهى عن كلّ ما من شأنه أن يحصل منه الأذى الذي أقلّه الأذى باللسان بأوجز كلمة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾ الإسراء: ٢٣، فيفهم منه النهي ممّا هو أشدّ أذى بطريق فحوى الخطاب بالأولى[٢]، ثمّ ارتقى إلى النهي عمّا هو من حيث الوضع أشدّ من"أف" وهو نهرهما، وإن كان النهي الأول يدلّ عليه؛ لأنّه إذا نهى عن الأدنى كان ذلك نهياً عن الأعلى بجهة الأولى[٣]، والنهي يدلّ على التحريم، ولذلك يجب على المسلم الابتعاد عمّا حرّم الله من عقوق الوالدين وإن كان بأقلّ الأذى وهو كلمة"أف".

**الأسلوب الثالث: أسلوب المدح والذم:**

وهذا أيضاً من الأساليب التي وردت في القرآن في الحثّ على هذه العبادة العظيمة، فإنّ من الأمور التي تحفّز المسلم وتدفعه إلى فعل تكليف ما، سماعه لعبارات المدح والثناء التي يُوصف بها من يؤدي هذا التكليف، ولذلك تكرّر هذا الأمر بكثرة في القرآن الكريم[٤].

فقد مدح الله البارّ بوالديه في أكثر من موضع في القرآن، قال الله مادحاً

---

(١) انظر: التحرير والتنوير(١٥:٦٧).

(٢) انظر: المرجع السابق(١٥:٧٠).

(٣) انظر: البحر المحيط(٧:٣٧).

(٤) راجع على سبيل المثال: أوصاف عباد الرحمن في سورة الفرقان، وصفات المؤمنين في سورة المؤمنون..

يحيى عليه السلام﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾ مريم: ١٤،وأثنى سبحانه على عيسى عليه السلام، فقال﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ مريم: ٣٢، وقد استخدم الرسول-صلى الله عليه وسلّم-هذا الأسلوب، وذلك حين قال:" يأتي عليكم أويس بن عامر[١]مع أمداد أهل اليمن، له والدة هو بها برّ لو أقسم على الله لأبرّه"[٢]، وكذلك قوله :"دخلت الجنّة فسمعت فيها قراءةً، فقلت: من هذا"؟ قالوا: حارثة بن النعمان[٣]، فقال رسول الله:" كذلكم البِرّ، كذلكم البِرّ"[٤] ، وكان أبرّ الناس بأمّه.

وكما أنّ القرآن الكريم أثنى على من اتصف بصفة البر، فإنّه ذكر بعض صور عقوق الوالدين بأسلوب الذم من أجل تنفير النفوس المؤمنة من هذا الخلق السيء، وتحبيبها في ما يقابله من الخلق الحسن المتمثل في بر الوالدين، ومن هذه الصور ما ورد في سورة الكهف في قصة موسى مع الخَضِر، حينما بيّن له سبب قتله للغلام، بأنّه أراد أن يبدل أبويه المؤمنين بولد أقرب عطفاً

---

(١) هو سيد التابعين في زمانه، أبو عمرو أويس بن عامر القرني اليماني، الزاهد المشهور، أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومنعه من القدوم عليه برّه بأمّه، استشهد مع علي بصفين.انظر: الإصابة في تمييز الصحابة(١١٨:١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٦٩:٤).

(٣) هو حارثة بن النعمان بن نفيع بن زيد الأنصاري، شهد بدراً، وأدرك خلافة معاوية ومات فيها بعد أن ذهب بصره. انظر: الإصابة (٣١٢:١).

(٤) أخرجه الحاكم (٢٢٩:٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر أيضاً: شرح السنة للبغوي(٧:١٣) وقال المحقق: إسناده صحيح.

ورحمة بأن يكون أبرّ بهما وأشفق عليهما[١]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ الكهف: ٨١.

وصورة أخرى ذكرها القرآن في معرض الذم، وهي صورة ذلك الكافر المنكر للبعث الذي عقّ والديه المؤمنين وأساء لهما، وذكر ما آل إليه من المصير السيء، قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأحقاف: ١٧ .

وقد استخدم النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- هذا الأسلوب في أحاديث كثيرة من أجل تحذير المؤمنين من العقوق، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه -عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال"رغم أنف، ثمّ رغم أنف، ثمّ رغم أنف" قيل: من يا رسول الله؟ قال:"من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنّة"[٢].

**الأسلوب الرابع: أسلوب الترغيب والترهيب:**

إنّ من الأساليب التربوية الجميلة في القرآن الجمع بين الترغيب والترهيب، فإذا ذكر الترغيب في فعل أمر من الأمور غالباً ما يعقبه ذكر

---

(١) انظر: تفسير الرازي(٢١:١٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤:١٩٧٨)

ومعنى رغم أنفه: ألصق بالرغام، وهو التراب، هذا هو الأصل، ثمّ استعمل في الذل والعجز والانقياد على كره. انظر: النهاية في غريب الحديث(٢:٣٢٨).

الترهيب من تركه، وهكذا بالنسبة لبرّ الوالدين، فكما أنّ القرآن رغّب فيه وذكر الثواب المترتّب على فعله، فهو أيضاً في المقابل حذّر من تركه وذكر العقاب المترتب على التفريط فيه.

ولا شك أنّ من الأمور التي تدفع المسلم للامتثال والاستجابة لأمر الله في الإحسان للوالدين، هو أن يذكر الثواب الذي أعده الله-عزّ وجلّ- لمن برّ والديه وأحسن لهما، وقد ذكر القرآن صورة معبرة لذلك المؤمن الذي لا يفتر عن الإحسان لوالديه حتى في زمن بلوغه الأشدّ، فلا يشغله الدعاء لنفسه ولذريته عن الدعاء لهما والإحسان إليهما بظهر الغيب، فلا جرم أنّ إحسانه إليهما في المواجهة حاصل بفحوى الخطاب[(١)]، فكان جزاؤه بحساب أحسن الأعمال، والسيئات مغفورة متجاوز عنها، والمآل إلى الجنّة مع أصحابها الأصلاء[(٢)]، فحسن الجزاء من حسن العمل، وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عن الروح الأمين-عليه السلام-قال: "يؤتى بحسنات العبد وسيئاته، فيقتص بعضها ببعض، فإن بقيت حسنة وسع الله له في الجنة" قال: فدخلت على يزداد[(٣)]فحدّث بمثل هذا الحديث، قال: فإن ذهبت الحسنة؟ قال:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ

(١) انظر: التحرير والتنوير(٢٦:٣٢) بتصرف.

(٢) انظر: في ظلال القرآن(٦:٣٢٦٣).

(٣) أزداد، ويقال يزداد ابن فساءة، فارسي يماني، مختلف في صحبته. انظر: تقريب التهذيب (ص٩٧).

ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ الأحقاف: ١٦[١] ، وفي الآية إشارة إلى أنّ الإحسان للوالدين والدعاء لهما من أفضل الأعمال فهو أحسن ما عملوا، وقد تُقبل منهم ما هو أحسن ما عملوا[٢]، وجاء في السنّة ما يؤكد هذا المعنى، وهو أنّ برّ الوالدين من أفضل الأعمال، فقد سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أي العمل أفضل؟ قال:"الصلاة لوقتها" قال: ثمّ أيّ؟ قال"بر الوالدين"قال: ثمّ أيّ؟ قال:" الجهاد في سبيل الله"[٣] ، وفي رواية أخرى أنّه سئل عن أقرب الأعمال إلى الجنة، وفي رواية ثالثة أنّه سئل عن أحب الأعمال إلى الله، وفي كلّ مرة يجيب بنفس الجواب[٤].

هذا وقد ورد عن النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- أحاديث كثيرة تبيّن ما يناله البارّ بوالديه في الدنيا، وما أعده الله له من الأجر الجزيل والثواب العظيم في الآخرة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: من سرّه أن يُمدّ له في عمره ويُزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه[٥]، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد[٦]، ومنها

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره(١٠:٣٢٩٤)وإسناده جيد لا بأس به كما قال ابن كثير في تفسيره(٧:٢٦٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير(٢٦:٣٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه(١:٨٩).

(٤) انظر: المرجع السابق(١:٩٠).

(٥) رواه أحمد(٤:١٦٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٨:٢٥٣): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٦) أخرجه الحاكم(٤:١٦٨) وصححه ووافقه الذهبي، والترمذي(٤:٢٧٤) ولم يرفعه وقال: هذا =

أنّ رجلاً أتى أبا الدرداء-رضي الله عنه-فقال: إنّ لي امرأة، وإنّ أمي تأمرني بطلاقها، فقال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: "الوالد أوسط أبواب الجنة" فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه[1] [1]، وجاء رجل إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك؟ فقال: " هل لك من أمّ"؟ قال: نعم، قال:" فالزمها، فإنّ الجنة عند رجليها"[2] ، وفي رواية قال له:" ألك والدان"، قلت: نعم، قال: الزمهما فإنّ الجنة تحت أرجلهما"[3].

وفي مقابل الصورة الجميلة التي ذكرها القرآن الكريم في الترغيب في بر الوالدين، هناك صورة أخرى في الترهيب من عقوق الوالدين والتنفير منه، فحينما ذُكر الإنسان البار بوالديه وما آل إليه من قبول لأحسن ما عمل، ومن تجاوز للسيئات، وصحبة لأهل الجنّة، ذُكر العاقّ بوالديه وما آل إليه من العذاب والخسران، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ الأحقاف:

---

= أصح..

(١) أخرجه ابن ماجه (١:٣٨٧)، والترمذي (٤:٢٧٥) واللفظ له، وقال: وهذا حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي(٢:١٧٥)

(٢) أخرجه ابن ماجة (٢:١٣٢)، والنسائي (٦:١١) واللفظ له، وأحمد(٤:٤٤٧)، والحاكم (٢:١١٤) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه(٢:١٢٥).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير(٢:٢٨٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٨:٢٥٦): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

١٨، أي دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة[١].

وقد جاء في سنة النبيّ ﷺ التحذير من عقوق الوالدين وما يترتب عليه من العقاب، ويكفي في ذلك حرمانه من نظر الله إليه ومن دخول الجنة، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعاً: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة؛ العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة؛ العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى[٢].

ولا تقتصر عقوبة العاق لوالديه على الجزاء الأخروي، بل يعجل الله تعالى له العقوبة في الدنيا، فعن أبي بكرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:" كلّ الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة؛ إلاّ عقوق الوالدين، فإنّ الله يعجّله لصاحبه في الحياة قبل الممات"[٣] ، وفي قصة جريج العابد عبرة وعظة، كيف أنّه لّما قدّم صلاته على إجابة دعوة أمّه حين دعته، استجاب الله لدعاء أمّه عليه، حين قالت: اللهم فلا تمته حتى تريه وجوه المومسات[٤]، فعجل الله له عقوبة العقوق في الدنيا[٥].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير(٧:٢٦٧).

(٢) أخرجه النسائي(٥:٨٠) واللفظ له، وأحمد(٢:٢٩٥)، والحاكم(٤:١٦٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي(٢:٥٤١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٨:٢٧٠): رواه البزار بإسنادين، ورجالهما ثقات..

(٣) أخرجه الحاكم(٤:١٧٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) المومسات: جمع مومسة، وهن الزواني البغايا المتجاهرات بذلك.

(٥) القصة بطولها أخرجها مسلم في صحيحه(٤:١٩٧٦).

وبعد فهذه جملة من الأساليب التي وردت في القرآن في الدعوة لبِرّ الوالدين، وهي كما ترى أساليب متعددة ومتنوعة، الغرض منها بيان عظم هذا الخلق ومنزلته عند الله وفضله وثوابه، من أجل تعلّق النفوس المؤمنة به، وتحبيبها إليه، وجعلها تبذل كلّ ما تستطيع من أجل القيام به، فهل نعرف لبر الوالدين– بعد هذا كلّه – مكانته وعلوّ شأنه، أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لنكون من البارّين بوالدينا، المحسنين إليهم، إنّه سميع مجيب.

## المحور الثاني

## صور بِرّ الوالدين في القرآن

ذكرنا في التمهيد أنّ لفظة البِرّ يتّسع مدلولها لتشمل العديد من المعاني: كالصدق، والطاعة، والخير، والصلاح، والصلة، والإكرام، واللطف، والاتساع في الإحسان. وهذه المعاني في الحقيقة ما هي إلاّ صور ومجالات للفظة" البِرّ" ذات المدلول الواسع، وعلى الرغم من أنّ الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن بِرّ الوالدين آيات معدودة، إلاّ أنّ هذه الآيات -كما سنرى- تضمّنت العديد من صور البِرّ بالوالدين، ولا شك أنّ في هذا دلالة أولاً على أنّ هذا القرآن معجز في بيانه، حيث إنّ الألفاظ القليلة حوت المعاني الكثيرة، وثانياً على سعة مفهوم البِرّ وأنّه يشتمل على الكثير من الصور والمجالات. ومن خلال النظر في الآيات الكريمة التي تناولت بِرّ الوالدين في القرآن، وبعد قراءتها وتدبرها، والغوص في معانيها، يمكننا أن نذكر جملة من هذه الصور، وهي كالتالي:

**أولاً: الإحسان إليهما:**

الإحسان ضد الإساءة، والمراد به فعل ما هو حَسَن، والحَسَنُ وصف مشتق من الحُسْن[1]، وهو كما يقول صاحب التعريفات: ما يكون متعلَّق المدح في العاجل والثواب في الآجل[2]، وهو بهذا المعنى العام تتسع دائرته لتشمل جوانب متعددة، منها الإحسان للوالدين، الذي أمر الله به في أكثر

(١) انظر: لسان العرب(١٣: ١١٤).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني(ص٨٣).

من موضع في القرآن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ في خمسة مواضع[(١)]، والمعنى: أحسنوا بالوالدين إحساناً[(٢)]؛ وهو شامل للإحسان بالقول، والفعل، والمال، والجاه، وجميع طرق الإحسان؛ لأنّ الله أطلق؛ فكلّ ما يسمّى إحساناً فهو داخل في الآية[(٣)].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾العنكبوت: ٨، والوصيّة تفيد الأمر المؤكّد، والحُسْن: اسم مصدر، أي: إيصاءً ذا حسن، أو على سبيل المبالغة، أي: هو في ذاته حسن[(٤)]، والمعنى: أمرنا الإنسان على سبيل العهد المؤكّد بالرأفة والرحمة والإحسان إلى الوالدين، فهما سبب وجوده، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق، والوالدة بالإشفاق[(٥)].

**ثانياً: عدم التضجّر منهما ولو بكلمة "أفٍّ"**

ومن صور البرّ بالوالدين والإحسان إليهما، أن لا يقول لهما ما يكون فيه أدنى تبرّم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ [(٦)] عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا

---

(١) البقرة(٨٣)، النساء(٣٦)، الأنعام(١٥١)، الإسراء(٢٣)، الأحقاف(١٥).

(٢) وأصله "وإحساناً بالوالدين" وقدّم المتعلّق على متعلّقه وهما "بالوالدين إحساناً" للإهتمام به، والباء فيه للتعدية، وإنّما عُدّي الإحسان بالباء لتضمينه معنى البرّ، والتعريف في "الوالدين" للاستغراق. انظر: التحرير والتنوير(٥:٤٩)(١٥:٦٨).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم(الفاتحة-البقرة)، للشيخ ابن عثيمين(١:٢٦٧)، والتحرير والتنوير(١٥:٦٨)..

(٤) انظر: البحر المحيط(٨:٣٤٢).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير(٦:٢٧٤) بتصرف.

(٦) وجه تعدد فاعل "يبلغنّ" مظهراً دون جعله بضمير التثنية الاهتمام بتخصيص كل حالة من =

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ الإسراء: ٢٣، وأفٍّ اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، وقد وردت أقوال كثيرة في معنى هذه الكلمة[١]، وليس المقصود من النهي عن أن يقول لهما"أفٍّ"خاصة، وإنّما المقصود النهي عن الأذى الذي أقلّه الأذى باللسان بأوجز كلمة[٢]، وبأنّها غير دالّة على أكثر من حصول التضجّر لقائلها دون شتم أو ذمّ، فيفهم منه النهي ممّا هو أشدّ أذى بطريق فحوى الخطاب بالأولى[٣]، وعن الحسين بن علي-رضي الله عنهما- مرفوعاً:" لو علم الله شيئاً من العقوق أدنى من أف لحرمه"[٤] .

وخص حالة الكبر بالذكر؛ لأنّها الحالة التي يحتاجان فيها إلى برّه لتغيّر الحال عليهما بالضعف والكبر ؛ فألزم في هذه الحالة مراعاة أحوالهما أكثر ممّا ألزمه من قبل، وأيضاً فطول المكث معهما يوجب الاستثقال للمرء، ويحصل الملل ويكثر الضجر، فيظهر غضبه على أبويه[٥].

**ثالثاً: ألاّ يتعرض لزجرهما والغلظة عليهما:**

ومن البرّ بهما والإحسان إليهما ألاّ ينهرهما، وأن يتجنب غليظ القول المؤذي

---

= أحوال الوالدين بالذكر؛ لأنّ لكل حالة بواعث على التفريط في واجب الإحسان إليهما.انظر: التحرير والتنوير(١٥:٦٩).

(١) راجع: الدر المنثور للسيوطي(٤:٣٠٩)، تفسير القرطبي(١٠:١٥٨).

(٢) قال القرطبي: قال علماؤنا: وإنّما صارت قولة"أفٍّ"للأبوين أردأ شيء لأنّه رفضهما رفض كفر النعمة، وجحد التربية وردّ الوصيّة.انظر: تفسير القرطبي(١٠:١٥٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير(١٥:٧٠)، والمحرر الوجيز(١٠:٢٧٩).

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني(٣:٢٢٠) ونسبه للديلمي.

(٥) انظر: تفسير القرطبي(١٠:١٥٨) بتصرف واختصار.

الموجب الذي يؤدّي إلى نفورهما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ الإسراء: ٢٣، والنهر: الزجر بمغالظة[١]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ الضحى: ١٠ والمعنى: لا يصدر منك إليهما فعل قبيح[٢]، فأيّ فعل أو حركة قبيحة تعدّ من النهر، ولو كانت بالإشارة، وفسّره عطاء بن أبي رباح بقوله: لا تنفض يدك إلى والديك[٣].

ولمّا نهى سبحانه وتعالى أن يقول لهما ما يدلّ على التضجّر منهما، ارتقى إلى النهي عما هو من حيث الوضع أشدّ من ذلك وهو نهرهما، وإن كان الأول يدلّ على الثاني؛ لأنّه إذا نهى عن الأدنى كان ذلك نهياً عن الأعلى بجهة الأولى؛ لئلا يُحسب أنّ ذلك-أيّ قول"أفٍّ"-تأديب لصلاحهما وليس بالأذى[٤].

**رابعاً: التلطّف معهما بالقول :**

ومن صور البرّ بالوالدين في القرآن أن يتلطّف معهما بالقول الحسن والكلام الطيب الذي يحمل كلّ عبارات التأدّب والاحترام والتبجيل،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الإسراء: ٢٣، والقول الكريم: الجامع للمحاسن من اللين وجودة اللفظ وتضمّن البر[٥]، والمعنى: قل لهم قولاً

---

(١) انظر: مفردات الراغب(ص٨٢٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير(٥:٦١).

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٥:٦٥).

(٤) انظر: البحر المحيط(٧:٣٧)، والتحرير والتنوير(١٥:٧٠).

(٥) انظر: المحرر الوجيز(١٠:٢٧٩).

جميلاً حسناً ليّناً سهلاً[١]، وهذه صورة من البِرّ أرفع من التي قبلها، فإنّه لّما نهاه عن القول المؤذي، وكان ذلك لا يستلزم الأمر بالقول الطيّب، أمره تعالى بأن يقول لهما القول الطيّب السّار الحسن[٢].

وقد وردت عبارات عن السلف تفسّر المراد بالقول الكريم في الآية، فعن سعيد بن المسيب، قال: هو قول العبد المذنب للسيد الفظ[٣]، وقال قتادة: قولاً ليناً سهلاً[٤]، وعن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–قال: أن تقول لهما: يا أبتاه يا أمّاه[٥]، وهذا من قبيل التفسير بالمثال؛ فالآية عامّة فيدخل في معناها كلّ قولٍ يدلّ على التعظيم والتوقير والاحترام، والتلطّف في الكلام،كما يقتضيه حسن الأدب معهما، فهذا إبراهيم- عليه الصلاة والسلام -خاطب أباه مع كفره مترفقاً به متلطّفاً في ندائه بوصف الأبوّة الحاني ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ مريم: ٤٢، الذي كرره أربع مرات، مظهراً شدّة نصحه لأبيه، وشفقته عليه، ورحمته به،قال في الكشاف:انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتّب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق

(١) انظر: تفسير الطبري(١٥:٦٥).

(٢) انظر: البحر المحيط(٧:٣٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٥:٦٥).

(٤) المرجع السابق(٥:٦٥).

(٥) انظر: البحر المحيط(٧:٣٧).

مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن[1].

وحسن أدب إبراهيم مع أبيه يتجلى في الوجوه التالية:

أولاً: أنّه خاطبه بوصف الأبوّة إشارة إلى أنّه مخلص له في النصيحة.

ثانياً: استفتح كلّ نصيحة بقوله﴿ يَـٰٓأَبَتِ ﴾ توسلاً إليه واستدراراً لعطفه.

ثالثاً: أنّه طلب منه أولاً العلة في خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه[2].

رابعاً: دعاه إلى الحق مترفقاً به متلطفاً فلم يسمّ أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه، ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك، بل أبرز نفسه في صورة رفيق له[3].

خامساً: تأدب معه إذ لم يصرّح بلحوق العذاب به، بل أخرج ذلك مخرج الخائف، وأتى بلفظ المس الذي هو ألطف من المعاقبة ونكّر العذاب[4].

**خامساً: التواضع ولين الجانب:**

وهذه أيضاً من الصور الجميلة التي ذكرها القرآن لبرِّ الوالدين، فإنّه لّما نهى عن الفعل القبيح أمره بالفعل الحسن، وهو أن يتواضع لهما تواضعاً يصل إلى درجة الذُلّ لهما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ

(١) انظر: الكشاف(٢:٤١٢).

(٢) المرجع السابق(٢:٤١٢).

(٣) انظر: تفسير أبو السعود(٥:٢٦٧).

(٤) انظر: البحر المحيط(٧:٢٦٩).

ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ الإسراء: ٢٤، و"من" هنا لبيان الجنس، أي: أنّ هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس لا بأن يكون ذلك استعمالاً، ويصح أن تكون ابتدائية، أي الذل الناشئ عن الرحمة لا عن الخوف أو المداهنة[١]، والآية فيها تصوير معبّر رائع، إذ صوّرت التواضع للوالدين في تذلل طائر عندما يعتريه خوف من طائر أشدّ منه فإنّه يخفض جناحه متذللاً[٢]، وقيل: إنّ الطائر إذا ضمّ فرخه إليه للتربية خفض جناحه، فخفض الجناح كناية عن حسن التدبير، وكأنّه قيل للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا بك حال صغرك[٣]. وعن عروة بن الزبير قال: هو أن تلين لهما حتى لا تمتنع من شيء أحباه[٤]. وهكذا ينبغي أن يكون حال المسلم مع والديه من الرحمة بهما، والحنوّ عليهما، واللطف بهما، ولين الجانب لهما، والتذلل في أقواله وسكناته ونظراته، وعدم الامتناع عمّا يريدانه ما لم يكن لله فيه معصية، بحيث يكون حاله معهما من التذلل والانكسار كحال العبد مع سيّده.

**سادساً: الدعاء لهما:**

ومن صور البِرِّ بالوالدين الترحّم عليهما والدعاء لهما، وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك، إذ ولياك صغيراً جاهلاً محتاجاً فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكسواك[٥]، قَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) انظر: المحرر الوجيز(١٠: ٢٨٠)، والتحرير والتنوير(١٥: ٧١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير(١٥: ٧٠).

(٣) انظر: البحر المحيط(٧: ٣٨) ونسبه للقفال.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره(١٥: ٦٦).

(٥) انظر: تفسير القرطبي(١٠: ١٥٩).

﴿ وَقُل رَّبِّ [1] ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ الإسراء: ٢٤، فإنّه لمّا ذكر رحمة الولد بأبويه، كان مناسبا أن ينتقل إلى أمر الولد بطلب الرحمة من الله، وخصّ طلب الرحمة بالذكر؛ لأنّها شاملة لخيري الدنيا والآخرة، ثمّ نبّه على العلّة الموجبة للإحسان إليهما، والبر بهما، واسترحام الله لهما، وهي تربيتهما له صغيراً، وتلك الحالة ممّا تزيده إشفاقاً ورحمة لهما وحناناً عليهما؛ إذ هي تذكير لحالة إحسانهما إليه وقت أن لا يقدر على الإحسان لنفسه[2]، وهذا الإحسان والبر بالوالدين لا يمكن أن يكافئ -مهما بلغ- ما قام به الوالدان من التربية والرعاية للولد وهو في حال الصغر، ولذلك جاء في الحديث "لا يجزي ولد والداً إلاّ أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه"[3]، وفي الآية إشارة إلى أنّ الدعاء لهما مستجاب لأنّ الله أمر به، وهذا الدعاء للوالدين لا يكون فقط في حياتهما، بل هو من البرّ والإحسان حتى بعد موتهما، ويدلّ على ذلك ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنّ رجلاً سأله: هل بقي من برّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال:" نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما"[4]، وفي الحديث "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاثة، وذكر منها: أو ولد صالح يدعو له"[5].

وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي

(١) لاحظ كيف أنّه أُمر أن يدعو الله بوصف الربوبية المبنية على الرحمة الواسعة للخلق.

(٢) انظر: البحر المحيط(٣٩:٧)، وتفسير القرطبي(١٦٠:١٠).

(٣) رواه مسلم في الصحيح(١١٤٨:٢) .

(٤) أخرجه أبو داود(٧٥٨:٢)، والحاكم(١٧١:٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه(١٢٥٥:٣).

وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ إبراهيم: ٤١، وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ نوح: ٢٨، وفي الآيتين تعليم للمؤمنين بأن يدعوا للوالدين ويستغفروا لهم، وهذا كلّه في الأبوين المؤمنين؛ لأنّ الله نهى عن الاستغفار للمشركين الأموات ولو كانوا أولي قربى، وذكر عن ابن عباس وقتادة أنّ هذا كلّه منسوخ بقوله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ ﴾ التوبة: ١١٣، وقيل: الدعاء بالرحمة الدنيوية للأبوين المشركين ما داما حيين[١].

## سابعاً: طاعتهما في غير معصية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ[٢] بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآ ﴾العنكبوت: ٨، أيّ: إن طلبا منك والداك وألزماك أن تشرك بالله إلهاً ليس لك به علم، فلا تطعهما في ذلك؛ لأنّه "لا طاعة في معصية الله إنّما الطاعة في المعروف"[٣]، ويلحق بطلب الشرك سائر المعاصي، ومفهوم المخالفة للآية يدلّ على وجوب طاعة الوالدين إذا لم يأمرا بالشرك بالله أو

---

(١) انظر: تفسير القرطبي(١٠:١٦٠).

(٢) في سورة لقمان ﴿ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ ﴾ وحرف "على" يدلّ على تمكّن المجاهدة، أي: مجاهدة قوية للإشراك، وهذا تأكيد للنهي عن الإصغاء إليهما إذا دعوا إلى الشرك. انظر: التحرير والتنوير (٢١:١٦٠).

(٣) قاله النبيّ صلى الله عليه وسلّم في قصة الجيش الذي بعثه، وأمّر عليهم رجلاً فأوقد ناراً، وأمرهم أن يدخلوها، فأراد ناس أن يدخلوها، وامتنع آخرون، فذكر ذلك لرسول الله فقال هذا القول. انظر: صحيح مسلم(٣:١٤٦٩).

أي معصية أخرى، وعلى هذا فإذا أمرا أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتهما فيه، ما لم يكن ذلك الأمر معصية، وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المباح في أصله، وكذلك إذا كان من قبيل المندوب[1].

وقد ذكر القرآن الكريم مثالاً رائعاً في طاعة الابن لأبيه والاستجابة لأمره، وذلك في قصة إسماعيل -عليه السلام- لمّا عرض عليه أبوه أمر الذبح، سلّم نفسه إليه طلباً لمرضاة الله ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ الصافات: ١٠٢، ولكن الله أكرمه وفداه بذبح عظيم.

وقد جاءت الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم تؤكد على وجوب طاعة الوالدين، وأنّها مقدّمة على كثير من الأعمال، بل حتى على الجهاد في سبيل الله، كما في حديث الرجل الذي هاجر إلى رسول الله من اليمن يريد الجهاد، فقال له: " هل لك أحد باليمن؟" فقال : أبواي، قال:" أذنا لك؟" قال: لا، فقال:" ارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلاّ فبِرَّهما"[2].

**ثامناً: مصاحبتهما بالمعروف:**

ومن صور البر والإحسان بالوالدين مصاحبتهما بالمعروف، قال تعالى: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾لقمان: ١٥، وهذا أمر، والأمر يدلّ على الوجوب، والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص حلفت أمّه أن لا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي(١٠:١٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه(٢:٢١)، وصححه الألباني.انظر: صحيح سنن أبي داود للألباني (٢:٤٨١).

تكلّمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أنّ الله وصّاك بوالديك، وأنا أمّك، وأنا آمرك بهذا، فنزلت هذه الآية[١]، فأمره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يداريها ويترضاها بالإحسان، وإذا كان هذا في حق الوالدين الكافرين، فالأمر بمصاحبتهما بالمعروف آكد وأولى إذا كانا مؤمنين.

والمصاحبة: المعاشرة[٢]، ومنه قول النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- لّما سأله رجل: من أحقّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمّك[٣]، والمعروف: الشيء المتعارف المألوف الذي لا ينكر، فهو الشيء الحسن، أي صاحب والديك صحبة حسنة[٤]، وهذه المصاحبة تشمل كلّ ما من شأنه أن يحقق العشرة الجميلة من إطعامهما، وكسوتهما، وخدمتهما إذا احتاجا، وإجابة دعوتهما، وامتثال أمرهما، إلى آخر ذلك من صنائع المعروف وأوجه البر والإحسان.

**تاسعاً: شكرهما :**

ومن صور البر التي ذكرت في القرآن شكر الوالدين على ما تحملا، وخاصة الأم من معاناة في الحمل والولادة، والحضانة، والتربية، قال تعالى: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ لقمان: ١٤، ولّما خصّ تعالى الأمّ بالحمل والرضاع حصل لها بذلك ثلاث

(١) أخرجه مسلم في صحيحه(٤:١٨٧٧).

(٢) انظر: لسان العرب(١:٥١٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه(٤:١٩٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: التحرير والتنوير(٢١:١٦١).

مراتب، وللأب واحدة، وأشبه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم حين قال له رجل: من أبَرّ؟ قال: أمّك، قال: ثمّ من؟قال: أمّك، قال: ثمّ من؟قال: أمّك، قال: ثمّ من؟قال: أبوك[1]، فجعل له الربع من المبرّة كما في الآية[2]، والآية فيها الأمر بشكر الوالدين، والمعنى: وعهدنا إليه أن اشكر لي على نعمي عليك، ولوالديك تربيتهما إياك، وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك[3]، فالمنعم الحقيقي هو الله تعالى فشكره واجب، وقد يكون أحد المخلوقين صاحب نعمة على الإنسان، فشكره أيضاً واجب؛ لقوله صلى الله عليه وسلم" من لم يشكر الناس لم يشكر الله"[4] ، وليس لأحد من الخلق نعمة على الإنسان مثل الوالدين، ولذلك بدأ الله بشكر نعمة الخالق، فقال﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ثمّ أردفه بشكر نعمة الوالدين، فقال﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ وحقيقة الشكر هو تصور النعمة وإظهارها، ويكون بالقلب بمعرفة النعمة، وباللسان بالثناء على المنعم، وبالجوارح وذلك بمكافأته بقدر ما يستحق[5]، وإذا تصورنا نعم الوالدين الكثيرة، فلا يمكن أن يبلغ الإنسان حق الشكر لهذه النعم مهما قدّم من أعمال البرّ والإحسان، وقد شهد ابن عمر- رضي الله

---

(١) أخرجه الترمذي (٤:٢٧٣) وحسنه.

(٢) انظر: تفسير القرطبي(١٤:٤٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري(٢١:٧٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٤:٢٩٩) من حديث أبي سعيد، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) انظر: مفردات الراغب(ص٤٦١).

عنه -رجلاً يمانياً يطوف بالبيت وقد حمل أمّه وراء ظهره، فقال لابن عمر: أتراني جزيتها، قال : لا، ولا بزفرة واحدة[1].

**عاشراً: الإنفاق عليهما إذا احتاجا:**

ومن صور البر والإحسان بالوالدين النفقة عليهما إذا احتاجا لذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ[2] ﴾ البقرة: ٢١٥، والآية تدلّ على الأمر بالإنفاق على الوالدين والترغيب فيه[3]، وقال تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾الإسراء: ٢٣، ومن الإحسان الإنفاق عليهما عند حاجتهما، وقال تعالى: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾لقمان: ١٥، ومن المعروف القيام بكفايتهما عند الحاجة، وقد جاءت سنّة الرسول-صلى الله عليه وسلّم- لتؤكد هذا الأمر، وهو وجوب نفقة الابن على أبيه؛ لأنّه مأمور ببرِّ أبيه، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم: " إنّ أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإنّ أولادكم من كسبكم"[4] ، ومنها قوله صلى الله عليه

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد(ص٢٠).

(٢) اللام في قوله"للوالدين" للمِلْك، بمعنى الاستحقاق، أي: فالحقيق بها الوالدان. انظر: التحرير والتنوير(٢:٣١٨).

(٣) ذهب ابن مسعود والسديّ إلى أنّ الآية منسوخة بأية الزكاة، وفيه نظر كما قال ابن كثير، وذهب ابن جريج ومقاتل وابن زيد إلى أنّها مبيّنة لمصارف صدقة التطوع، وهو الأولى كما قال ابن العربي في الأحكام.

انظر: تفسير الطبري(٢:٣٤٣)، وزاد المسير(١:٢٣٤)، وتفسير ابن كثير(١:٣٦٧)، وأحكام القرآن لابن العربي(١:١٤٥).

(٤) رواه أحمد في مسنده(٧:٦٣)عن عائشة مرفوعاً، وصححه الألباني في الإرواء(٦:٦٥).

وسلم: "أنت ومالك لوالدك"[1] وأجمع أهل العلم على أنّ نفقة الوالدين الفقيرين اللذين لا كسب لهما ولا مال، واجبة في مال الولد[2]، وهذه النفقة على الوالدين تجب على الولد بثلاثة شروط:

الأول: أن يكون الوالدان فقيرين، لا مال لهما ولا كسب يستغنون به عن إنفاق غيرهم.

الثاني: أن يكون ما ينفق عليهم فاضلاً عن نفقة نفسه وزوجته وأولاده وخادمه.

الثالث: أن يكون الوالدان مسلمين؛ لأنّ النفقة مواساة على سبيل البرّ والصلة، فلم تجب مع اختلاف الدين، وذهب الشافعي إلى وجوبها؛ لعموم قوله تعالى ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ولقوله في الوالدين المشركين ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[3].

وبعد فهذه عشر صور من البرّ بالوالدين والإحسان إليهما تناولها القرآن الكريم، وأكدتها السنّة النبوية المشرفة، وكانت مثلاً تطبيقياً حيّاً في حياة النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم، فقد روى أبو الطفيل[4]-رضي الله عنه-

---

(١) رواه أبو داود في سننه(٣١١:٢)وحسّنه الألباني في الإرواء(٣٢٥:٣).

(٢) انظر: المغني لابن قدامة(٣٧٣:١١) ونسبه لابن المنذر.

(٣) انظر: المغني(٣٧٤:١١-٣٧٦)، والشرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ ابن عثيمين(٥١٣:١٣).

(٤) هو عامر بن واثلة بن عبد الله الليثي، ولد عام أحد، رأى النبي صلى الله وسلم وهو شاب وحفظ عنه أحاديث وعُمّر إلى أن مات سنة عشر ومائة على الصحيح، وهو آخر من مات من الصحابة. انظر: الإصابة(١١٠:٧).

قال: رأيت رسول الله يقسم لحماً بالجعرانة وأنا يومئذٍ غلام أحمل عظم الجزور، إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى النبيّ فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هي؟ فقالوا: هذه أمّه التي أرضعته[١]، وسار الصحابة والتابعون - رضوان الله عليهم- على هذا الهدي القويم، فامتثلوا لخطاب القرآن وتوجيهات نبيّهم محمد-صلى الله عليه وسلّم-فارتسمت هذه الصور واقعاً عملياً في سلوكهم وأخلاقهم، فهذا الصحابي أبو هريرة-رضي الله عنه-كان إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب بيت أمّه، فقال: السلام عليك يا أمّاه، فتقول: وعليك السلام، فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيراً، فتقول: رحمك الله كما بَرَرتني كبيراً[٢]، فما أحوجنا في هذا الزمان الذي يعاني فيه الآباء والأمهات من عقوق أبنائهم إلى أن نهتدي بهدي القرآن، وأن نقتدي بخير الأنام، وأن نسير على خطى أولئك العظام، لكي ننال رضى الملك العلاّم.

ويحسن التنبيه إلى أنّ هذه الصور لا تختص بأن يكون الوالدان مسلمين، بل إن كانا كافرين فإنّه يبرّهما ويحسن إليهما إذا كانا لهما عهد[٣]، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ الممتحنة: ٨ ، وفي صحيح البخاري عن أسماء[٤]، قالت: أتتني

---

(١) أخرجه أبو داود (٢:٧٥٨)، والحاكم(٤:١٨١) وصححه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد(ص٢١).

(٣) يستثنى من هذه الصور الدعاء والنفقة، فقد ذكرنا الخلاف في ذلك.

(٤) هي أسماء بنت أبي بكر الصدّيق، زوج الزبير بن العوام، من كبار الصحابة، عاشت مائة سنة، =

أمّي راغبة في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم، فسألت النبيّ آصِلُها؟ قال : نعم، قال ابن عيينة[1]: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾لقمان: ١٥، وفيها أمر بمصاحبة الوالدين بالمعروف، وقد ذكرنا سابقاً أنّ هذه الآية نزلت في قصة سعد بن أبي وقاص مع أمّه وكانت مشركة[3]، والمصاحبة بالمعروف تشمل جميع مجالات البر والإحسان.

وممّا يدلّ أيضاً على أنّ هذه الصور من البر والإحسان لا تختص بالوالدين المسلمين، عموم الأدلة الواردة في القرآن في الأمر بالإحسان للوالدين، كقوله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾الإسراء: ٢٣، وقوله ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾العنكبوت: ٨، وقوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ لقمان: ١٤،وقوله ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ لقمان: ١٤.

---

= وماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر(ص٧٤٣).

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران: ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثمّ المكي، ثقة حافظ فقيه إمام، مات في رجب سنة ثمان وتسعين، وله إحدى وتسعين سنة. انظر: تقريب التهذيب (ص٢٤٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري(٧:٩٤).

(٣) انظر: (ص٢٥) من هذا البحث.

فهذه الآيات تدلّ بعمومها على وجوب البرّ والإحسان للوالدين وإن كانا كافرين، ولا يستثنى من ذلك إلاّ ما جاء الدليل باستثنائه من هذه الصور، وهو الدعاء لهما والنفقة عليهما، وقد بينّا الخلاف في ذلك.

## الخاتمة

الحمد لله الذي لا تعدّ نعمه ولا تحصى، والصلاة والسلام على نبيّ الرحمة والهدى، وعلى آله وصحبه أولي النجابة والتقى، وبعد:

فإنّي في ختام هذا البحث وبعد هذه الجولة الماتعة مع موضوع" برّ الوالدين في القرآن الكريم"، وقبل أن ترتفع أصابع يدي عن لوحة المفاتيح، وينقطع حبل أفكاري، أحب أن أسجل أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات:

**أهم نتائج البحث:**

أولاً: أنّ القرآن الكريم أولى موضوع بر الوالدين عناية كبيرة، ويكفي في ذلك أنّه قرنه بعبادة الله وتوحيده.

ثانياً: أنّ بر الوالدين مفهوم واسع يتضمن إيصال كلّ ما فيه خير لهما، ودفع كلّ ما فيه ضرر عليهما، سواءً كان ذلك في حياتهما أو بعد موتهما.

ثالثاُ: أنّ القرآن الكريم دعا إلى بر الوالدين بطرق متعددة وأساليب متنوعة، وهذا يدلّ على شرف هذا الخلق وعظمته ومنزلته عند الله، ويدلّ أيضاً على فضله وثوابه.

رابعاً: على الرغم من أنّ الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن بر الوالدين آيات معدودة، إلاّ أنّها تضمنت العديد من صور بر الوالدين، وهذا يدلّ على سعة مفهوم البر، وأنّه يشتمل على الكثير من الصور والمجالات.

خامساً: عظمة هذا الدين، وأنّ ما فيه من الهداية والخير في مجال البر

بالوالدين والإحسان إليهما، لحري بأن ينقذ البشرية ممّا هي من الشقاء والنكد في حياتها عموماً، وفي الإحسان للوالدين بوجه خاص.

**أهم التوصيات:**

أولاً: نظراً لأهمية هذا الموضوع، فإنّه يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة والتأليف.

ثانياً: استخلاص النماذج التي أوردها القرآن الكريم في برّ الوالدين، وإفرادها بالدراسة والتحليل، ومن هذه النماذج:

١- نموذج إبراهيم عليه السلام.

٢- نموذج إسماعيل عليه السلام.

٣- نموذج يحيى عليه السلام.

أسال الله أن يوفقنا لتدبّر كتابه العزيز، والوقوف على أسراره وعجائبه، واستخراج درره وكنوزه، والامتثال لهديه، والاستضاءه بنوره، إنّه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.

## المراجع والمصادر


- أحكام القرآن، للإمام أبي بكر ابن العربي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٣٩٢هـ.
- الأدب المفرد، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- بر الوالدين، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- بر الوالدين في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، نظام سكجها، المكتبة الإسلامية، عمان، ١٤٠٣هـ.
- بر الوالدين ما يجب على الوالد لولده وما يجب على الولد لوالده، لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٦٠٦هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- الترغيب والترهيب، للإمام عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، تحقيق محي الدين مستو وسمير العطار ويوسف بديوي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق عادل أنور خضر، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.
- تفسير أبو السعود المسمّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ.
- تفسير القاسمي المسمّى محاسن التأويل، للإمام محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.
- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد البنا، مكتبة دار السلام.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ.
- تفسير القرآن العظيم(الفاتحة-البقرة)، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار

الرشيد، سوريا، ط٤، ١٤١٢هـ.

- تهذيب مدارج السالكين، كتبه الإمام ابن القيم الجوزية، هذّبه عبدالمنعم صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- الجامع الصحيح، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق كما الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- الجامع الصحيح، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- جامع العلوم والحكم، للإمام ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، للإمام محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، للإمام عبدالرحمن ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٣٨٤هـ.
- سنن ابن ماجه، للحافظ محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به: عبد الفتاح غدة، دار البشائر، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- شرح السنّة، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- الشرح الممتع على زاد المستقنع، للشيخ محمد صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٨هـ.
- صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
- صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- صحيح سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- فتح القدير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام عبدالرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ.

- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٨، ١٣٩٩هـ.
- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٤١٢،١هـ.
- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط٣، ١٤٠٣هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ١٤١٣هـ.
- مختصر بر الوالدين، عبد الرؤوف الحناوي، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٥هـ.
- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبدالله الحاكم، مع تضمينات الإمام الذهبي، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٤١٢،١هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢.

- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- المغني، لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق عبدالله التركي وعبدالفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، ط٥، ١٤٢٦هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني،تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١٤١٢،١هـ.
- من معالم الهدي القرآني في بر الوالدين، د: سليمان الصادق البيرة، مطبعة سفير، الرياض.
- من وصايا القرآن الكريم: البر بالوالدين في الحياة وبعد الممات، أحمد عبد الغني النحولي، مكتبة ابن كثير، الكويت، ١٤٢٤هـ.
- موسوعة نضرة النعيم، إعداد مجموعة من المختصين، دار الوسيلة، جدة، ط٢، ١٤١٩هـ.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- نشر البنود على مراقي السعود، سيدي عبدالله الشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت، ط١٣٨٣،١هـ.